نص "صدفة" لأحمد بوحوية ما بين الومضة القصصية والقصة القصيرة جدا

د. جمال الجزيري

جامعة السويس، مصر

سأتناول في هذه الدراسة نص "صدفة" للكاتب الليبي أحمد بوحوية من زاوية كونه ومضة قصصية أم قصة قصيرة جدا، وسأبدأ بتناول جماليات النص في حد ذاته، ثم سأعلّق على انتمائه التجنيسي، وها هو النص:

مر بجانبها. صمتت عيناه. تغيرت ملامحها. لم تخنه ذاكرته. صوت طفلها. ابتسم. رحل مره ثانية.

يجسد هذا النص لحظة عابرة في حياة شخصيتين كانت تربطهما علاقة قوية في السابق، وتحولا إلى غريبين عن بعضهما بعضا بسبب البتر الذي لحق بهذه العلاقة السابقة. والصدفة الواردة في العنوان تدل على أن هذا اللقاء كان عابرا وفي الغالب في طريق عام جمعهما دون ترتيب.

وصمت عيني الرجل هنا لا يدل على عدم التعبير، وإنما يدل على احتباس التعبير في العينين وكأنه يحاول أن يوقف دموعه على ما ضاع. وتغير ملامح المرأة هنا يدل على ارتباكها، وهو ارتباك يدل بدوره على قيامها باستحضار علاقتها السابقة بهذا الرجل الذي تلتقيه بالصدفة في النص وكانت تربطها به علاقة حب في السابق.

وأرى أن عبارة "لم تخنه ذاكرته" عبارة زائدة إذا كانت العلاقة التي تجمعهما علاقة حب، وإلا تحولت هذه العلاقة السابقة إلى علاقة عابرة لليلة واحدة، وهذا غير وارد في سياق النص لأن رحيل الرجل من جديد في نهاية هذا النص يدل على أنه رحل من قبل. والرحيل لا يستخدم بالإشارة إلى العلاقات العابرة، وإنما العلاقات المتينة.

ومن الواضح هنا أن هذا الرجل هو الذي نقض عهد الحب بينهما في السابق. وهنا يتحول تغير ملامح المرأة في النص من قبل إلى استجواب لهذا الرجل واتهام له، اتهام

يفوق العتاب بكثير. ووجود الطفل في النص يدل على أن هذه المرأة ارتبطت بغيره بعد أن رحل بها أو غدر بحبهما.

وتحول صمت العينين إلى ابتسامة في نهاية النص يوحي بأن هذا الرجل يسامح نفسه، مثلما كان هذا الصمت يوحي بعتابه لنفسه في بداية هذا اللقاء العابر، وكأنه أدرك أن ارتباطها بغيره علامة على تجاوزها لأزمه رحيله عنها في السابق.

باختصار، يجسد هذا النص لحظة عابرة في حياة شخصيتين تحيلنا بطريقة غير مباشرة إلى علاقتهما السابقة التي مرت عليها سنوات طويلة كافية لتجاوز هذه المرأة الأزمة وزواجها من رجل آخر وإنجابها لطفل يسير معها الآن على الطريق.

والنص بشكله الحالي يتأرج ما بين الومضة القصصية والقصة القصيرة جدا، حتى مع قيام الكاتب بحذف عبارة "لم تخنه ذاكرته" بعد النقاش حول النص عند نشره على مجموعة سنا الومضة القصصية.

فالومضة القصصية تتميز بأنها تجسد لحظة زمنية واحدة يمكن التقاطها بفلاش كاميرا فوتوغرافية، أو على الأقل ما يستطيع الفلاش أن يكشفه من جانب الحدث في ثوانيه المعدودة. وبالرغم من أن الموقف مناسب تماما للومضة القصصية اللحظية، صياغة المشهد من خلال خمس جمل وعبارة "صوت طفلها" التي تعتبر جملة ضمنية لا تحتملها الومضة القصصية، فالجملة الأولى يمكن دمجها في الجملة التالية. و"صوت طفلها" يمكن إدراجها في الجملة التالية ويمكن ضم الجملتين الأخيرتين: صمتت عيناه وتغيرت ملامحها عندما مر بجانبها. فابتسم لصوت طفلها ورحل من جديد.